International Journal of Cultural and Religious Studies
المجلة الدولية للدراسات الثقافية والدينية
ISSN: 2752-9894
DOI: 10.32996/ijcrs
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijcrs

دَوْرُ الإِيمَانِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ فِي بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ المُسْلِمِ الفِكْرِيَّةِ

عبداللطيف رحيميار، أستاذ المحاضر في قسم العقيدة بكلية الشريعة، جامعة تخار - أفغانستان.
معراج الدين رحيمي، أستاذ المحاضر في قسم العقيدة بكلية الشريعة، جامعة تخار- أفغانستان.

تاريخ استلام البحث: 2026/03/1 **تاريخ نشر البحث: 2026/04/07** **المجلد: 6** **العدد: 3**

الملخص:
يُعَدّ الإيمان بالقضاء والقدر أحدَ أركان الإيمان الأساسية، وله دورٌ جوهري في بيان الصلة بين الإرادة الإلهية والمسؤوليات الشخصية للإنسان. وقد أدّت التلقي الخاطيء وسوء الفهم لهذا المبدأ في بعض المجتمعات الإسلامية إلى نوعٍ من الكسل وضعف الإحساس بالمسؤوليات الشخصية البشرية؛ بينما يُرسّخ الإيمان بالقضاء والقدر عقيدة المؤمن ويُحسّن سلوكَه النفسي والأخلاقي. لذلك تبرز الحاجة إلى دراسةٍ علميةٍ منهجيةٍ لإعادة بناء الفهم الديني الصحيح لهذا الموضوع. تتناول هذه الدراسة مدى أثر الإيمان بالقضاء والقدر في بناء الشخصية المسلم العقدية والأخلاقية والنفسية وتتبع موضوعَها بمنهجٍ وصفيٍّ تحليليٍّ، معتمدةً على الكتب التراث والدراسات العقدية المعاصرة في جمع المعلومات اللازمة من خلال دراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي، إضافةً إلى مراجعة المقالات العلمية والبحوث المتخصصة وتحليلها. وقد أظهرت نتائج البحث أنّ الإيمان بالقضاء والقدر، وفهم معناه فهماً صحيحاً، له أثرٌ عميق وبنّاء فى بناء الشخصية المسلم الفكرية؛ إذ يُخلّصه من الإفراط في الماديّة ومن التفريط في الجبرية، فيمنحه التوازن والاعتدال في عقيدته ورؤيته وسلوكه، ويُكسبه قوةً وقدرةً على الصبر عند البلاء، والشكر عند النعمة.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، القضاء والقدر، الآثار الفكرية والتربوية، العقيدة الإسلامية.

The Role of Belief in Divine Decree and Predestination in the Formation of the Muslim Intellectual Personality

Abdullatif Rahimyar, Assistant Professor of Belief department, Faculty of Sharia, Takhar University, Afghanistan
Merajuddin Rahimi, Assistant Professor of Belief department, Faculty of Sharia, Takhar University, Afghanistan.

Corresponding Author: Asistant profesor Abdullatif Rahimyar, **E-mail**: abdullatifrahimyar1@gmail.com

RECIEVED: 1 March 2026 **PUBLISHED:** 07 April 2026 **DOI:** 10.32996/ijcrs2026.6.3.1

Abstract
Belief in divine decree and predestination (Qaḍāʾ wa Qadar) is a fundamental pillar of Islamic faith that elucidates the relationship between divine will and human responsibility. However, misinterpretation of this principle in some Muslim societies has often produced passivity and weakened personal accountability. In contrast, a sound understanding of divine decree strengthens faith, deepens spiritual awareness, and positively shapes moral and psychological conduct. This study explores the extent to which belief in divine decree influences the formation of the Muslim's intellectual, doctrinal, and ethical personality. Adopting a descriptive-analytical methodology, the research draws upon classical Islamic texts, modern theological writings, and the views of prominent scholars, supported by the analysis of Qur'anic verses, Prophetic traditions, and relevant academic literature. The findings demonstrate that a balanced comprehension of divine decree and predestination has a profound constructive impact on the intellectual development of the Muslim personality. It enables the believer to integrate rational reflection with faith, harmonize human will with divine purpose, and achieve moderation in belief and behavior. Ultimately, this understanding nurtures patience in adversity, gratitude in prosperity, and a sense of responsible engagement with life grounded in faith and reason.

Keywords: Faith, Divine Decree and Predestination, Intellectual and Educational Impacts, Islamic Creed.

المقدمة

الحمدُ للّٰهِ الّذي قدَّرَ الأشياءَ بحكمتِهِ، وجعلَ الإيمانَ بالقضاءِ والقدرِ رُكناً من أركانِ الإيمانِ لتستقيمَ به حياةُ الإنسانِ بينَ الإرادةِ والعملِ، والرضا بما كتبَهُ الرحمن والصلاة والسلام على سيّدنا محمدٍ، المبعوثِ رحمةً للعالمين، الذي علّمنا معنى الرضا بالقضاءِ، والسعيَ في حدودِ القدر، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

إنّ موضوع القضاء والقدر يُعَدّ من القضايا الجوهريّة في الفكر الإسلامي لما له من صلةٍ وثيقةٍ بحياة الإنسان وعقيدته وسلوكه، إذ لا يكاد يوجد إنسان، مهما اختلفت ديانته أو اتجاهاته الفكرية والعملية، إلاّ وتستوقفه هذه المسألة في شؤون حياته المختلفة، فهي قضية كونية وإنسانية عميقة شغلت الفكر الإنساني منذ أقدم العصور. وقد أولى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عنايةً بالغة ببيان حقيقة القضاء والقدر، حيث أوضح الله تبارك وتعالى في كتابه هذه المسألة أوضح بيان، كما بيّنها رسول الله ﷺ على منهجٍ قائمٍ على الوحي الصحيح والهدي الرباني. وتتجلّى أهمية الإيمان بالقضاء والقدر في كونه ركناً أساسياً من أركان الإيمان الستّة التي ورد ذكرها في حديث النبي ﷺ حينما سُئل عن معنى الإيمان، فبيّنها وختمها بقوله: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»، مما يدلّ على أن الإيمان بالقدر ليس قضية فرعية أو نظرية، بل هو أصل عقدي راسخ تُبنى عليه رؤية المسلم للكون والحياة. وقد بيّن القرآن الكريم أن الله تعالى خلق كل شيء بقدر، وأنّ جميع ما يقع في هذا الوجود إنما يجري وفق تقديرٍ محكمٍ سابقٍ من لدنه سبحانه، قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49]، ومن هذا المفهوم تتجلّى نظرة الإسلام المتوازنة التي تجمع بين الإيمان بالقدر الإلهي وبين مسؤولية الإنسان في اختياره وسعيه في الحياة.

مشكلة البحث

يُعَدّ الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ من أهمّ الأصولِ العقديّة في الإسلام، وهو ركنٌ من أركانِ الإيمانِ الستة التي يقومُ عليها صرحُ العقيدة. غير أنّ هذا الإيمانَ لا يقتصرُ على الجانبِ النظريّ أو الاعتقاديّ المجرّد، بل يمتدُّ أثرُه إلى بناءِ الفكرِ وتنميةِ الإدراكِ وتوجيهِ نظرةِ المسلمِ إلى اللّٰهِ تعالى، وإلى ذاتِهِ، وإلى الكونِ من حولِه. وعلى الرغم من الأهميةِ المحوريّةِ لهذا الأصلِ الإيمانيّ، فقد تباينت التفاسيرُ والقراءاتُ له في المجتمعاتِ الإسلاميّة، ومن هنا تنشأُ مشكلةُ هذا البحث، وهي: كيف يؤثّر الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ في تكوينِ الشخصيةِ الفكريّةِ للمسلم، وفي حفظِ توازنها ونموّها؟ وما الدورُ المعرفيُّ والتربويُّ الذي يمكن أن يؤديه هذا الإيمانُ في هذا السياق؟

ففي ضوءِ هذا الإيمان، يجدُ الإنسانُ المؤمنُ توازناً واتساقاً عقلانياً بين الإرادةِ الإلهيّةِ والاختيارِ الإنساني، ويصلُ بذلك إلى تناغمٍ بين الإيمانِ الباطنِ والسلوكِ الظاهر، مما يمنحه رؤيةً متوازنةً للوجودِ ومسؤوليةً فاعلةً في الحياة.

أهمية البحث وضرورته

تنبعُ أهميةُ هذا البحث من كونِ مسألةِ القضاءِ والقدرِ، على الرغم من بساطتِها الظاهريّة، تُعَدّ من أعمقِ وأعقدِ القضايا الكلاميّةِ والفلسفيّةِ والتربويّةِ في الفكر الإسلاميّ. فقد أدّى سوءُ الفهمِ أو التناولُ السطحيُّ لهذا الأصلِ العقديّ عبرَ التاريخ إلى انتشارِ نزعاتٍ جَبريّةٍ تُفضي إلى الخمولِ وسلبِ المسؤوليّةِ الفرديّةِ والاجتماعيّة، في حين أنّ الفهمَ الصحيحَ للقضاءِ والقدرِ يُعيدُ التوازنَ بين العقلِ والإيمان، وبين الاختيارِ الإنسانيّ والمشيئةِ الإلهيّة، وبين السعيِ والتوكّل في حياةِ المسلم.

وفي ظلّ التحدّياتِ الفكريّةِ والثقافيّةِ والروحيّةِ التي يشهدُها العصرُ الحديث – من انتشارِ الماديّةِ، واضطرابِ القيمِ، وتزايدِ القلقِ النفسيّ، وضعفِ الأنظمةِ التربويّةِ الإيمانيّة – تتأكّدُ ضرورةُ الدراسةِ العلميّةِ لهذا الأصلِ الجوهريّ في العقيدةِ الإسلاميّة. فالإدراكُ العميقُ لمفهومِ القضاءِ والقدرِ يمكن أن يؤدّي دوراً محورياً في إعادةِ بناءِ الفكرِ الإسلاميّ، وتعزيزِ روحِ التعقّلِ الدينيّ، وتنميةِ الهويّةِ الإيمانيّةِ الفاعلة، وإرساءِ رؤيةٍ متوازنةٍ بين الإرادةِ الإنسانيّةِ والمشيئةِ الإلهيّة. وانطلاقاً من ذلك، يسعى هذا البحث إلى بيانِ أنّ الإيمانَ بالقضاءِ والقدرِ ليس مبدأً نظريّاً جامداً، بل هو قوّةٌ فكريّةٌ وتربويّة تُسهم في تشكيلِ البنيةِ الفكريّةِ للمسلم، وفي تنظيمِ نظرته إلى الوجود، وفي بناءِ شخصيّةٍ إيمانيّةٍ متوازنةٍ وفعّالة. وبذلك تُسهمُ دراسةُ هذا الموضوع في إحياءِ النظرةِ العقليّةِ الديناميكيّةِ والمتوازنةِ في الفكرِ الإسلاميّ المعاصر، وتُعَدّ خطوةً علميّةً نحو ترسيخِ فهمٍ رشيدٍ ومتكاملٍ للعلاقةِ بين الإيمانِ والعملِ في الحياةِ الإنسانيّة.

أهداف البحث

أولاً- الهدف العام: دراسة دَوْرُ الإيمان بالقضاءِ والقدر في بناءِ الشخصيةِ الفكريّةِ للمسلم، من خلالِ تحليلِ أبعادِهِ العقديّةِ والأخلاقية والتربويّة.

ثانياً: الأهداف الفرعية:

- توضيحُ المفهومِ العقديّ للقضاءِ والقدر.
- تحليلُ العلاقةِ بين الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ وبينَ تكوينِ الشخصيةِ الفكريّةِ للمسلم من منظورٍ معرفيٍّ وتربويّ.
- بيانُ أثرِ الفهمِ الصحيحِ للقضاءِ والقدرِ في تصحيحِ الاتجاهاتِ الفكريّةِ والسلوكيّةِ لدى المسلم.
- الكشفُ عن الدورِ التربويّ للإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ في غرسِ قيمِ التوكّلِ، والصبر، والمسؤوليّةِ، والاعتدالِ الفكريّ في حياةِ المسلم.

أسئلة البحث

السؤال الأصلي: ما أثرُ الإيمانِ بالقضاءِ والقدر في تكوينِ الشخصيةِ الفكريّةِ للمسلم؟ وما الدورُ المعرفيُّ والتربويُّ الذي يمكنُ أن يؤدّيهِ هذا الإيمانُ في تحقيقِ التوازنِ بين العقلِ والإيمان في حياةِ المسلم؟

الأسئلة الفرعية

- ما المفهومُ اللغويُّ والاصطلاحيُّ للقضاءِ والقدر؟
- كيف يؤثر الإيمان بالقضاء والقدر في توجيه الاتجاهات الفكرية لدى المسلمين؟

- ما الدور الذي يؤديه الإيمان بالقضاء والقدر في تنمية القيم الأخلاقية مثل التوكل، والصبر، والرضا؟
- كيف يمكنُ للإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ أن يعالجَ التحدّياتِ الفكريّةَ والنفسيّةَ التي يُواجهُها المسلمُ في العصرِ الحديث؟

الدراسات السابقة

يُعَدّ الإيمان بالقضاء والقدر أحد الأصول الأساسية في البناء العقدي للإسلام، وقد حظي باهتمام واسع من علماء الكلام والفلسفة والأخلاق؛ إذ ألّف كلّ واحدٍ منهم في هذا الباب تأليفاتٍ وبحوثًا متعدّدة. وفيما يلي أبرز الدراسات والبحوث التي تناولت هذا الموضوع ولها صلة مباشرة بموضوع هذا البحث:

1- مجيد معارف وزملاؤه (1401هـ ش) في مقال بعنوان «الآثار الاجتماعية للاعتقاد بالقضاء والقدر في حياة الإنسان من منظور القرآن والروايات»، تناولوا التأثيرات الاجتماعية لهذا الاعتقاد في حياة الإنسان. وقد أظهرت نتائج البحث أن الإيمان بالقضاء والقدر يسهم في تعزيز الطمأنينة النفسية، وتنمية الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، والتخفيف من القلق عند مواجهة التحديات والمصاعب الحياتية.

2- الدكتور عبد الكريم زيدان (د.ت) ألّف رسالة قيّمة بعنوان «الإيمان بالقضاء والقدر وأثره في سلوك الإنسان». وقد بيّن فيها مفهوم القضاء والقدر وآثاره العقدية والأخلاقية والنفسية، وأوضح أن الإيمان بالقضاء والقدر هو منبع الصبر والتوكّل والرضا والقناعة والسكينة الداخلية، وأنّه يبعد المؤمن عن الغرور واليأس والاضطراب، ويوجهه نحو الاعتدال والإنصاف والطمأنينة الأخلاقية والاجتماعية. وخلص الباحث إلى أنّ الإيمان بالقضاء والقدر يشكّل الأساس التربوي للأخلاق في الإسلام، ويقود الإنسان إلى التوازن والتقوى والأمل برحمة الله، بينما يؤدّي الفهم الجبري الخاطئ له إلى الانحطاط الأخلاقي في المجتمعات المسلمة.

3- ومن الدراسات المهمّة أيضًا رسالة الدكتور عبد المجيد الوعلان بعنوان «عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر عند السلف وأثرها على المؤمن». اعتمد فيها المنهج الوصفي التحليلي في بيان أبعاد الإيمان بالقضاء والقدر وآثاره في سلوك المؤمن. وقد تناول الباحث الأركان الأربعة للإيمان بالقدر (العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق)، محلّلاً موقف السلف من العلاقة بين الإرادة الإلهية واختيار الإنسان، ومبيّنًا أنّ الاعتقاد الصحيح بالقضاء والقدر لا يتعارض مع حرية الإنسان، بل يبعث في النفس السكينة والثبات، ويقوّي روح الصبر والرضا والتوكّل.

4- كما ألّف الدكتور سليمان الأشقر كتابًا بعنوان «القضاء والقدر». تناول فيه مفهوم القضاء والقدر ومكانته في منظومة العقيدة الإسلامية بالأسلوب الوصفي التحليلي. وقد عرض المؤلف نشأة هذا الركن وتطوّر مفهومه في التراث الإسلامي، كما بيّن حدّ إدراك العقل في هذه المسألة وغايات الإيمان بالقضاء والقدر في الحياة الإنسانية، وانتقد انحرافات الفرق كالجبرية والقدرية، مؤكّدًا أن الفهم الصحيح للقضاء والقدر لا يقود إلى السلبية والخمول، بل يبعث في النفس روح التسليم والثقة بالله، ويغذّي في المؤمن النشاط والأمل والإيجابية.

أصالة البحث وتميّزه: تبيّن من خلال استعراض الدراسات السابقة أنّ أيًّا من الأبحاث المتقدّمة لم يتناول بصورة مباشرة دور الإيمان بالقضاء والقدر في توجيه الاتجاهات الفكرية، كما لم يُعثر –حسب علم الباحث– على دراسة مستقلّة منشورة في المجلات العلمية الوطنية أو الدولية بعنوان: «دَوْرُ الإِيمَانِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ فِي بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ المُسْلِمِ الفِكْرِيَّةِ». ومن ثمّ، يسعى هذا البحث إلى سدّ هذه الفجوة العلميّة من خلال الاستناد إلى المصادر الكلامية والعقدية الأصيلة، والاستفادة من الطروحات الفكرية المعاصرة، بهدف تقديم دراسة علمية متكاملة تبرز الأثر العقدي والتربوي للإيمان بالقضاء والقدر في بناء الشخصية الفكرية للمسلم.

منهج البحث

ينتمي هذا البحث إلى الدراسات الوصفية التحليلية، وقد تمّ إنجازه بالاعتماد على المنهج المكتبي (الوثائقي). في المرحلة الأولى جُمعت المعلومات اللازمة من خلال دراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي، إضافةً إلى مراجعة المقالات العلمية والبحوث المتخصصة. ثم عولجت البيانات المستخلَصة باستخدام منهج تحليل المحتوى والاستنباط العقلي، بغية تفسيرها تفسيرا علميا دقيقا، وذلك لتبيين أبعاد الموضوع المختلفة بصورة دقيقة وجلية.

تعريف القضاء والقدر لغة وشرعاً

1- **القضاء والقدر في اللغة**

أ- القضاء في اللغة: مصدر الفعل قَضَى يَقْضِي قَضَاءً. قال ابن فارس في مادة (قَضِيَ) الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ أَمْرٍ وَإِتْقَانِهِ وَإِنْفَاذِهِ لِجِهَتِهِ (ابن فارس، 1399هـ، ج5، ص 99)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ}** [فصلت: 12] أَيْ أَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ.

والقضاء: هو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان. وأصله القَطْع وَالْفَصْلُ. وقَضاء الشَّيْءِ: إِحْكامُه وإِمْضاؤُه وَالْفَرَاغُ مِنْهُ فَيَكُونُ بِمَعْنَى الخَلْق (ابن منظور، 1414 هـ، ج 15، ص 186).

ب- القدر في اللغة: مصدر الفعل قَدِرَ يقْدَرُ قدَراً، وقد تسكن دالُه.

قال ابن فارس في مادة (قدر): القاف، والدال، والراء، أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنه، ونهايته؛ فالقدْر مبلغ كل شيء، يقال: قَدْرُه كذا أي مبلغه وكذلك القَدَر (ابن فارس، 1399هـ، ج5، ص 62).

والقدَر محركة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدّره الله _عز وجل_ من القضاء، ويحكم به من الأمور. قال الله عز وجل: **{أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}** [القدر: 1] يعني الحكم.

والقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء، وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.

ج- والفرق بين القدر والتقدير:

أن التقدير يستعمل في أفعال الله تعالى وأفعال العباد، ولا يستعمل القدر إلا في أفعال الله عزوجل وقد يكون التقدير حسنا وقبيحا كتقدير المنجم موت زيد وإفتقاره وإستغناءه، ولا يكون القدر إلا حسنا (عسكري، 1412، ج1، ص 135).

2- القضاء والقدر في الاصطلاح الشرعي

اختلف العلماء في تعريف القضاء والقدر فقال الجرجاني:

أ- القدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء (الجرجانى، 1403هـ، ج 1، ص 174).

ب- القضاء: عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد (الجرجانى، 1403هـ، ج 1، ص 177).

ج- من أجمع التعاريف، وأشملها هو: تقدير الله تعالى للأشياء في القِدَم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها (المحمود، 1418، ص 39).

ج- الفرق بين القضاء والقدر

اختلف العلماء في ذلك على أقوال:

1- المراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء: الخلق (الوعلان، 1442هـ، ص 4). قال تعالى: **{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}** [القمر: 49]، وقال تعالى: **{فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}** [المرسلات: 23].

2 وقيل العكس؛ القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق. (اشقر، 1425 هـ، ص 24).

2- أنه لا فرق بين القضاء والقدر؛ فكل واحد منهما بمعنى الآخر؛ فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر؛ ويعبر عن كل واحد منهما كما يعبر عن الآخر؛ فهما مترادفان من هذا الاعتبار، فيقال: هذا قدر الله، ويقال: هذا قضاء الله، ويقال: هذا قضاء الله وقدره (المحمود، 1418، ص 41).

أقسام التقدير

يمكن تقسيم التقدير باعتبار نسبته إلى الله عز وجل إلى خمسة أقسام، وهي كما يلي:

1- التقدير العام: وهو تقدير الرب لجميع الكائنات، بمعنى علمه بها، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه لها.

ويدل على هذا النوع أدلة كثيرة منها قوله تعالى: **{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}** (سورة الحج:70). عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **" كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"** (مسلم، ب ت، ج 4، ص 2044).

2- التقدير البشري: وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة. قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}** (الأعراف: 172).

عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ , أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبْتَدَأُ الْأَعْمَالُ أَمْ قُضِيَ الْقَضَاءُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ، ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ثُمَّ أَفَاضَ بِهِمْ فِي كَفَّيْهِ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ النَّارِ»** (بيهقى، 1421هـ، ج1، ص 25).

3_ التقدير العمري: وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابةُ شقاوته، أو سعادته (إبراهيم الحمد، ، 1435هـ، ص 78). وقد دل على ذلك حديث الصادق المصدوق في الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ...»** (بخارى، 1422هـ، ج4، 111).

4_التقدير السنوي: وذلك في ليلة القدر من كل سنة، ويدل عليه قوله تعالى: **{فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}** (الدخان:)4، وقوله: **{تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}** (القدر:4_6).

5_التقدير اليومي: ويدل عليه قوله تعالى: **{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}** (الرحمن: 29). قيل في تفسيرها: شأنه أن يُعِزَّ ويُذِل، ويرفع ويخفض، ويُعطي ويمنع، ويُغني ويُفقر، ويُضحِكَ ويُبكي، ويُميت ويُحيي، إلى غير ذلك (شوكاني، 1414 هـ، ج5، ص 164).

دَوْرُ الإِيمَانِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ

يؤدّي الإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح دورًا جوهريًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيه فكره وسلوكه، إذ يثمر ثمراتٍ جليلةً وآثارًا عظيمةً تنعكس على حياته كلّها؛ فتورثه الطمأنينة والثبات، وتهديه إلى الاستقامة في القول والعمل. وهذا الإيمان الشامل يجمع بين عمق العقيدة ونقاء الأخلاق وصفاء النفس، فتبدو ثماره واضحةً في حياة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة. وتتنوّع ثماره لتشمل الجوانب العقدية التي ترسخ اليقين بحكمة الله وعدله، والجوانب الأخلاقية التي تزكي النفس وتوجّه السلوك إلى الخير، والجوانب النفسية التي تمنح الإنسان السعادة الداخلية والسكينة القلبية. وفيما يلي سأتناول كلّ واحدٍ من هذه الجوانب بالبحث والتحليل المفصّل، مبيّنًا كيف يسهم الإيمان بالقضاء والقدر في تهذيب النفس، وتقويم الأخلاق، وبناء التوازن الروحي لدى المسلم.

الأولُ- دَوْرُ الإيمَانِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ فِي تَرْسِيخِ وَنَشْرِ المَفَاهِيمِ العَقَدِيَّةِ

يُعَدّ الإيمان بالقضاء والقدر من الركائز الأساس في بنية العقيدة الإسلامية، إذ يؤدي دورًا محوريًا في ترسيخ المفاهيم العقدية في نفوس المؤمنين ونشرها في المجتمع. فالإيمان بهذا الأصل العظيم يثمر ثمرات إيمانية عقدية جليلة، تُرسّخ العقيدة في القلب، وتعمّق صلة العبد بربه، فتزيده يقينًا وثباتًا وإخلاصًا في إيمانه. ولا يقتصر أثره على الجانب النظري أو المعرفي، بل يتجاوز ذلك ليجعل العقيدة حيّة فاعلة في حياة الإنسان وسلوكه ومواقفه اليومية، فيتحول الإيمان بالقضاء والقدر من مجرد اعتقاد ذهني إلى منهج عملي يوجّه الفكر والسلوك نحو الطاعة والرضا والتسليم لله تعالى. ومن أبرز هذه الثمرات:

1- التحقّق بكمال العبودية لله تعالى: وتمثّل حقيقة العبودية لله تعالى الغاية التي يسعى إليها السالكون بجدّ، ويقصدها المخلصون بوعيٍ ومحبة، فهي مقصد العاملين وغاية الواصلين، إذ يجد فيها العبد راحته وسكينته وطمأنينته. فإذا استقرّ الإيمان في قلبه أضاءت بصيرته بذكر ربه، وسكنت جوارحه لطاعته، وانقاد لشرعه راضيًا بما قدّره الله له من خيرٍ أو ابتلاء. ذلك لأن العبد الصادق يدرك أنه مملوك لربّه، مربوب بإرادته، متصرف به كيف شاء، فيسلّم لقضائه، ويرضى بقدره، معتقدًا أن كل ما يجري عليه من المنع أو العطاء إنما هو لحكمة بالغة ورحمة خفية.

ولذلك قال سفيان الثوري رحمه الله: منعه عطاء، أي إن الله تعالى لا يمنع عبده المؤمن لبخلٍ أو عجز، وإنما يمنع عنه ما ليس في مصلحته نظرًا منه ورحمةً وتمامَ رعاية. فكل قضاءٍ يقضيه الله لعبده المؤمن هو في حقيقته خيرٌ له، سواء أفرحه ظاهره أم أحزنه؛ فالقضاء الذي يبدو منعًا هو في باطنه عطاء، والنعمة التي تظهر في صورة محنة هي في واقعها لطف ورحمة، والبلاء الذي يراه العبد مشقة إنما هو عافية من نوعٍ آخر. غير أن جهل الإنسان وضيق نظره يجعله لا يدرك من النعمة إلا ما لذّ له في العاجل، فيغيب عنه إدراك وجه الرحمة فيما يكره، والحكمة فيما يظنّه ضررًا (ابن القيم، 1416 هـ، ج 2، ص 207).

وفي الإيمان بالقدر: الاعتراف بأنه مربوب مدبر مأمور منهي، إنما يتصرف بحكم العبودية، لا بحكم الاختيار لنفسه. والله سبحانه وتعالى هو المتصرف فيه، فنفسه بيد ربه وسيده، وناصيته بيده وقلبه بين أصبعين من أصابعه، كما قال رسول الله صلى الله و عليه وسلم **«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»** (صحيح مسلم، ج 8، ص 51). وموته وحياته، وسعادته وشقاوته، وعافيته وبلاؤه كله إليه سبحانه، ليس إلى العبد منه شيء. فهو عبد لله من جميع الوجوه، صغيراً وكبيراً، حياً وميتاً، مطيعاً وعاصياً، معافى ومبتلى، بالروح والقلب واللسان والجوارح (ابن القيم، 1393 هـ، صص 50-52).

2- الإخلاص: إنَّ الإخلاصَ من أسمى دور الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ، لأنَّ من أيقنَ أنَّ الأمورَ كلَّها بيدِ اللهِ وحدَه، وأنَّه لا نافعَ ولا ضارَّ إلا هو، صَفَت نيتُه من شوائبِ التعلّقِ بالمخلوقين، وخلُصَ عملُه للهِ خالصاً من الرّياءِ والسُّمعةِ. وقد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى هذا الأصلِ العظيمِ في قوله تعالى : **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}** [الأنعام: 162–163]، فمن آمنَ بأنَّ القضاءَ كلَّه للهِ، أخلصَ لهُ عبادتَهُ، إذ لا يرى لأحدٍ سواهُ تأثيراً ولا استحقاقاً للمَدحِ أو للثواب.

فالمؤمنُ بالقدرِ يعلمُ أنَّ النجاحَ والتوفيقَ بيدِ اللهِ وحدَه، لا بقُوّتِه ولا بحولِه، فيُجاهدُ نفسهُ ليكونَ عملُه خالصاً لوجهِ اللهِ تعالى، لا ليُعجَبَ بهِ أحدٌ أو يمدحَهُ الناس. وَمِنْ ثَمَّ، فَالإِيمَانُ الصَّحِيحُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ يغرسُ في قلبِ المؤمنِ روحَ الإخلاصِ، فيجعلُ دافعهُ في جميعِ أعمالِه ابتغاءَ وجهِ اللهِ وامتثالَ أمرِه، لا طمعاً في مدحٍ ولا خوفاً من ذمٍّ. فالمؤمنُ الراسخُ في إيمانِه بالقدرِ يُوقنُ أنَّ الأمرَ كلَّه لله، وأنَّ الملكَ ملكُه، يُصرِّفُ أمورَ خلقِه بحكمتِه وعدلِه، فما شاءَ اللهُ كان، وما لم يشأ لم يكن؛ لا رادَّ لفضله، ولا معقِّبَ لحكمه. ومن هذا الإدراكِ العميقِ تنبعُ صفاءُ النيّةِ وخلوصُ العمل من كلّ غرضٍ دنيويٍّ أو شائبةٍ نفسيّة. أمّا من ضعُفَ إيمانهُ بالقدرِ فإنهُ يقعُ في التعلّقِ بالناس، فيعملُ مراءاةً لهم، أو طلباً لمدحِهم، أو رهبةً من ذمِّهم، أو طمعاً في دنياهم. أمّا المؤمنُ الصادقُ في عملِه، فليس له باعثٌ سوى رضوانِ اللهِ، لأنَّه علِمَ أنَّ النفعَ والضرَّ والقبولَ والثوابَ كلَّها بيدِ اللهِ وحدَه لا بيدِ أحدٍ من خلقِه.

3- التوكل واليقين والاعتماد عليه: يُعتبرُ رِضَا العبدِ بتدبيرِ اللهِ مَظهراً من مَظاهرِ كمالِ الإيمان؛ فهو يَشملُ في مَضمونِهِ إفرادَ اللهِ وحدَه بالتوكلِ والاستعانةِ والاعتمادِ الكليّ عليه، ويُورثُ النفسَ قَبولاً مُطلقاً لكلّ ما يَقضيهِ اللهُ ويَختارُه لعبدِه.

والتوكل في إصطلاح الشرع إنما يراد به توجه القلب إلى الله حال العمل، واستمداد المعونة منه، والاعتماد عليه وحده؛ فذلك سر التوكل وحقيقته (ابن القيم، 1416 هـ، ج 2، ص 116).

فالتوكُّلُ الصادقُ واليقينِ هما لُبُّ العبادةِ وروحُ الإيمان، ولا يتحقَّقا على وجهِه الكاملِ إلا لمن آمنَ بالقضاءِ والقدرِ إيماناً صحيحاً، يدركُ معه أنَّ المقاديرَ كلَّها جاريةٌ بحكمةِ اللهِ وعدلِه. فالمؤمنُ الراسخُ في هذا الاعتقادِ يجمعُ بين الأخذِ بالأسبابِ المشروعةِ وبذلِ الجهدِ الممكن، وبينَ اليقينِ القلبيّ بأنَّ النتائجَ بيدِ اللهِ وحدَه؛ فلا ييأسُ عند الفشل، ولا يغترُّ عند النجاح، بل يعيشُ في سكينةٍ وطمأنينةٍ دائمةٍ (ابن القيم، 1416 هـ ، ج3، ص 500).

فإذا توكل العبد على ربه، وسلّم له، وفوض إليه أمره أمده الله بالقوة، والعزيمة، والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عُرْضَةُ اختيارِ العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه. وهذا يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منه في عقبة، وينزل في أخرى (ابن القيم، 1393 هـ، ص 201).

وصاحب الإيمان الصحيح بالقضاء والقدر يباشر الأسباب بيده، ولكن اعتماده على الله وحده، لا على السبب. وهكذا كان حال سيدنا محمد ﷺ فقد اختفى ﷺ في الغار وهذا منه ﷺ مباشرة لسبب الخلاص من المشركين؛ ولكن ما كان اعتماده في الخلاص من المشركين على هذا السبب وإنما كان على الله وحده (زيدان، ب ت، ص 37). قال تعالى: {**ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا**} (التوبة: 40). فثقته ﷺ وإطمئنانه وسكينته وأمله في الخلاص إنما كان ذلك بسبب تلك المعية الخاصة المتأتية من اعتماده على الله، لا بسبب الاختفاء بالغار.

والتوكل على الله والاعتماد عليه لا ينافي الأخذ بالأسباب وقد سئل النبي صلى الله عن إسقاط الأسباب نظرا إلى القدر؟ فرد ذلك، وألزم القيام بالأسباب كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»** (بخارى، 1422هـ، ج 6، 170).

4- التوبة والرجوع إلى الله: فإن العبد إذا وقع في الذنب خرج من قلبه الغلظة والقسوة والكيفية الغضبية التي كانت عنده لمن صدر منه ذنب حتى لو قدر عليه لأهلكه وربما دعاء الله عليه أن يهلكه ويأخذه غضباً منه لله وحرصاً على ألا يعصي فلا يجد في قلبه رحمة للمذيبين الخاطئين ولا يراهم إلا بعين الاحتقار والازدراء ولا يذكرهم إلا بلسان الطعن فيهم والعيب لهم والذم فإذا جرت عليهم المقادير وخلي ونفسه استغاث الله والتجأ إليه وتململ بين يديه تململ السليم ودعاه دعاء المضطر فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين رقة وتلك القساوة على الخاطئين رحمه ولين مع قيامه بحدود الله، وتبدل دعاءهم عليهم دعاء لهم، وجعل لهم وظيفة من عمره يسأل الله أن يغفر لهم فما أنفعه لهم من مشهد وما اعظم جدواه عليه والله اعلم.

5- التفاؤل وقطع التشاؤم: التشاؤم: مصدر من باب التفاعل، أصله من "شأم" الذي يكون مصدره "الشؤم" وهو ضد اليمن، كما يقال: تشاءمت بالشيء وتيمنت به، والشؤم: بمعنى الشرّ، ويقال: رجل مشؤوم؛ لمن جرَّ الشؤم على قومه أي لمن جرَّ الشرَّ على قومه، ويقال: رجل ميمون؛ لمن جرَّ الخير واليُمن على قومه (ابن منظور،1253هـ، ج12، 314).

وقال ابن حجر العسقلاني: "التشاؤم: سوء ظنّ بالله تعالى بغير سبب محقَّق" (ابن حجر:1379هـ، 215/10). فالمؤمن بالقضاء والقدر يعلم أن كل شيء بتقدير الله وقضائه، وأن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن: **{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ}** [يس: 18 - 19].

يُعتبر التفاؤلُ وقْطْعُ التشاؤمِ من أجلى ثمراتِ الإيمانِ بالقدرِ؛ إذ يرسخُ في قلبِ المؤمنِ أنَّ مقاليدَ الأمورِ بيدِ اللهِ وحده، وأنَّ اختيارَ الخالقِ للعبدِ خيرٌ من اختيارِ العبدِ لنفسِه، ممّا يبعثُ في النفسِ روحَ الأملِ ويطردُ عنها خيبةَ اليأسِ أو التطيُّرَ بالأحداثِ. فالمؤمنُ بالقضاءِ والقدرِ يستقبلُ أقدارَهُ بقلبٍ مُطمئنٍ، مُوقناً أنَّ مع العسرِ يسراً، وأنَّ ما أصابَهُ لم يكن ليخطئَهُ، وهذا اليقينُ يقطعُ دابرَ التشاؤمِ الذي هو سوءُ ظنٍ بالله (الوعلان، 1442هـ، ص 36).

6- رضا الله عنه: إن الرضا بالله ربًا وبقضائه وقدره من أعظم مقامات الإيمان وأشرف منازل العبودية، وهو دليل صدق التوحيد وكمال الثقة بالله تعالى. فمن رضي بالله ربًا رضي الله عنه، كما قال سبحانه: **{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}** (التوبة: 100)، فكان رضاه عن ربه سببًا لرضا ربه عنه. ومن رضي عن ربه في جميع أحواله، في السراء والضراء، والغنى والفقر، أثمر ذلك محبة الله ورضوانه عليه، فصار قلبه مطمئنًا بقضاء الله، مستسلِمًا لحكمه، شاكرًا على العطاء، وصابرًا عند البلاء.

فإذا رضي العبد بالقليل من رزق ربه، رضي الله عنه بالقليل من عمله، وأكرمه بقبول يسير الطاعة. وإذا استوى عنده المنع والعطاء، والسراء والضراء، وصار نظره إلى ربه لا إلى الحوادث والأسباب، وجده الله تعالى أسرعَ شيءٍ إلى رضاه إذا تضرّع إليه وتملّق بين يديه. وهكذا، فإن مقام الرضا ثمرةُ فَهْمٍ عميقٍ لمعنى الإيمان بالقضاء والقدر، يربّي في النفس الاطمئنان، ويزرع في القلب السكينة، ويجعل العبد يعيش في أنوار المحبة الإلهية والقبول الرباني.

الثاني- دَوْرُ الإيمَانِ بالقَضَاءِ والقَدَرِ فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وتَرْسِيخِ الفَضَائِلِ الأَخْلَاقِيَّةِ

يمثّل الإيمان بالقضاء والقدر الركيزة الأساسية في عملية تزكية النفس وإصلاحها من الداخل، إذ يغرس في قلب المؤمن روح الطمأنينة والتسليم، ويطهّر ذاته من القلق والاعتراض وسوء الظن بالله. فليس هذا الإيمان مجرّد تصديقٍ ذهنيّ للعقيدة، بل هو قوة روحية فاعلة تسهم في تهذيب السلوك وبناء الشخصية المتوازنة. وحين يترسخ هذا الإيمان في وجدان الإنسان، يثمر فضائل أخلاقية رفيعة كالصبر عند البلاء، والشكر عند النعمة، والتواضع بين الناس، لأنه يدرك أن مقادير العطاء والمنع كلها بيد الله وحده. ومن ثمّ يتجلّى دور الإيمان بالقدر كمنهج تربوي يصوغ النفس على معاني الرضا والثقة بخالقها، ويجعل الأخلاق السامية ثمرة طبيعية لعقيدة صادقة تجسّد الصلة الدائمة بين العبد وربه في جميع شؤون الحياة. ومن أبرز هذه الثمرات:

1- الصبر عند نزول المصائب: ومن ثمرات الإيمان بالقدر الصبر عند نزول المصائب، فالمؤمن بالقدر لا يسيطر عليه الجزع، والفزع، ولا يستبد به السخط والهلع، بل يستقبل مصائب الدهر بثبات، كثبات الجبال فقد استقر في اعماقه، قول الله تعالى: **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}** (الحديد، آية : 22 ـ 23).

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ» (ابن المبارك، ب ت، ص 222).

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: «الصبر مطيّة لا تكبو» (ابن القيم، 1409هـ، ص 17).

فالإيمان بالقدر من أعظم الأدوية التي تعين المؤمن على الشدائد والمصائب والبلايا، فهذه ثمرة من أعظم ثمرات الإيمان بالقدر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرس في نفوس أفراد الأمة الإسلامية هذا الإيمان ويرشدهم ويعلمهم كيف يتعاملوا مع المصائب والشدائد، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً لها أو ابناً لها في الموت، فقال الرسول: أرجع إليها فأخبرها **«إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ»** (بخاري، 1422هـ ، ج 2، ص 79).

2_ التواضع: إن الإيمان بالقدر يورث صاحبه تواضعًا حقيقيًّا في نفسه، ويمنعه من الكِبر والعُجب بما أوتي من مالٍ أو جاهٍ أو علمٍ أو شهرةٍ أو سلطان، لأنه يدرك أن كل ما في يده إنما هو من فضل الله وتقديره، لا بحَوْله ولا بقوّته. فإذا علم العبد أن ما ناله من نعمةٍ فهو بتقدير الله، وأنه سبحانه لو شاء لانتزعها منه في لحظة، زال من قلبه الزهو والاغترار، وحلّ محلّه الخضوعُ والشكرُ والاعترافُ بالمنة. قال تعالى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: 53)، فالمؤمن يرى في كل نعمةٍ يد الله السابقة، وفي كل نجاحٍ مشيئته الجارية، فيعيش متواضعًا شاكرًا، لا يتعالى على الناس ولا يزهو بنفسه.

ولهذا قال ابن القيم رحمه الله مبيّنًا أثر الإيمان بالقدر في تهذيب النفس: «فإن العبد إذا عَلِم أن النعمة من الله لا بحوله ولا قوته، حمله ذلك على التواضع وترك الفخر والخيلاء؛ إذ يرى نفسه محلَّ فضلٍ من الله ونعمة» (ابن القيم، 1416 **هـ**، ج 2، ص 172).

3_ الكرم والسخاء: ذلك أن المؤمن بالقدر يعلم علم اليقين بأن الله هو الرزاق، وهو الذي قسم بين الخلق معيشتهم؛ فكلٌ له نصيبه، ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، ولن يفتقر أحد إلا بقدر الله عز وجل. وهذا الإيمان يشرح صدر صاحبه للإنفاق في وجوه الخير، فيؤثرها بجانب من

ماله ولو كان به خصاصة؛ ثقة بالله، واستجابة لأمره عز وجل بالإنفاق، وشعوراً بأن للحياة الفاضلة مطالبَ يبذل في سبيلها المال غير مأسوف عليه، ولعلمه بأن المال مال الله؛ فَتَعَيَّنَ وَضْعُه حيث أمر اللهُ وَضَعَهُ (إبراهيم الحمد، 1435هـ، ص 100).

ثم إن الإيمان بالقدر يطفئ حِدَّةَ الشَّرَهِ من قلب المؤمن، فلا يتكالب على الدنيا، ولا يَتَتَبَّعُها إلا بمقدار الحاجات، فلا يريق ماء وجهه طلباً لها، بل يتكرم ويسخو عما في أيدي الناس؛ فمن أنواع السخاء سخاءُ الإنسان عما في أيدي الناس.

4_ السلامة من الحسد والاعتراض: فالإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بينها، وذلك مثل رذيلة الحسد؛ فالمؤمن بالقدر لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم، وقدر لهم أرزاقهم، فأعطى من شاء،ومنع من شاء، ابتلاءً، وامتحاناً، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على قدر الله. فإذا آمن بالقدر سَلِمَ من الحسد، وسَلِمَ من الاعتراض على أحكام الله الشرعية، وأقداره الكونية، وسَلَّم لله في جميع أموره (عواد المعتق، مجلة البحوث، 1413هـ، ص 250).

الثالثُ- دَوْرُ الإيمَانِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ فِي الجَانِبِ النَّفْسِيّ

يُؤَدِّي الإيمانُ بالقَضاءِ والقَدَرِ دَوْراً جَوهَرِيّاً في صِياغَةِ شَخْصِيَّةِ المُؤمِنِ وبِناءِ كِيانِهِ النَّفْسيّ ومن ذلك ما يلي:

1_ محاربة اليأس: فالذي لا يؤمن بالقدر يصيبه اليأس، ويدِبُّ إلى روُعه القنوط؛ فإذا أصيب ببلية ظن أنها قاصمة ظهره، وإذا نزلت به نازلة حسب أنها ضربة لازب لن تبارحه.

وكذلك إذا رأى ما عليه الباطل من صولة وجولة، وما عليه أهل الحق من ضعف وتخاذل ظن أن الباطل سيستمر، وأن الحق سيضمحل؛ فاليأس سم قاتل، وسجن مظلم، يُعَتِّمُ الوجه، ويصد النفس عن الخير، ولا يزال بالإنسان حتى يهلكه، أو ينغص عليه حياته.

أما المؤمن بالقدر فلا يعرف اليأس، ولا تراه إلا متفائلاً في جميع أحواله، منتظراً الفرج من ربه، عالماً بأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً. وتراه موقناً تمام اليقين بأن العاقبة للتقوى، وللمتقين، وأن قدر الله في ذلك نافذ لا محالة، فلا يتسلل إليه اليأس مهما احلولكت ظلمة الباطل؛ فاعتماد القلب على قدرة الله، ولطفه، وكرمه يستأصل جراثيم اليأس، ومنابت الكسل، ويشد ظهر الأمل الذي يلج به الساعي أغوار البحار العميقة، ويقارع به السباعَ الضاريةَ في فلواتها (إبراهيم الحمد، ، 1435هـ، ص 104).

2- عزة النفس والقناعة: إن من ملأ قلبه من الرضى بالقدر، ملأ الله صدره غنى وأمناً وقناعة. وفرغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه. ومن فاته حظه من الرضى، امتلأ قلبه بضد ذلك. واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه. فالرضى يفرغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله (ابن القيم، 1416 هـ، ج2، ص 208).

والمؤمن بالقدر، يعلم أن رزقه مكتوب، وأنه لن يموت حتى يستوفي رزقه، ويدرك أن الله كافيه وحسبه ورازقه، وأن العباد مهما حاولوا إيصال الرزق له، أو منعه عنه فلن يستطيعوا إلا بشيء قد كتبه الله، فينبعث بذلك إلى القناعة وعزة النفس، والإجمال في الطلب، وترك التكالب على الدنيا، والتحرر من رق المخلوقين، وقطع الطمع مما في أيديهم، والتوجه بالقلب إلى رب العالمين، وهذا أس فلاحه ورأس نجاحه.

ثم إن القناعة تضفي على صاحبها عزة النفس، وتحرز له وقاراً في العيون، وجلالة في القلوب، وترفعه عن مواضع الذل والمهانة، فيبقى مهيب الجناب، موفور الكرامة، مرفوع الرأس، مرتاح الضمير، سالماً من الهوان، متحرراً من رق الأهواء ومن ذل الطمع، فلا ينطلق في مجاري التملق والمداهنة، ولا يسير إلا وَفْقَ ما يمليه عليه إيمانه، والحق الذي يحمله (رسائل الإصلاح، صص 124-125).

3- سكون القلب وطمأنينة النفس، وراحة البال: فلا يدرك هذه الأمور، ولا يجد حلاوتها، ولا يعلم ثمراتها _ إلا من آمن بالله وقضائه وقدره؛ فالمؤمن بالقدر ساكن القلب، مطمئن النفس، مرتاح البال، لا يفكر كثيراً في احتمال الشر، ثم إن وقع لم يطِرْ له قلبه شعاعاً، بل يتحمل ذلك بثبات وصبر؛ إن مرض لم يضاعف مرضه بوهمه، وإن نزل به مكروه قابله بجأش رابط فخفف حدته؛ فمن الحكمة ألا يجمع الإنسان على نفسه بين الألم بتوقع الشر، والألم بحصول الشر؛ بل يسعد ما دامت أسباب الحزن بعيدة عنه، فإذا حدثت قابلها بشجاعة واعتدال.

وإنك لتجد عند خواصّ المسلمين من العلماء العاملين، والعباد القانتين المتبعين من سكون القلب وطمأنينة النفس ما لا يخطر ببال، ولا يدور حول ما يشبهه خيال؛ فلهم في ذلك الشأن القِدْحُ المعلى، والنصيب الأوفى (الوعلان، 1442هـ، ص 41).

فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز و يقول: "أصبحت وما لي سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر" (ابن عبدالحكم، 1404هـ، ص97).

4- عدم الندم أو الحسرة على ما فات: إن من ثمار الإيمان بالقضاء والقدر أن يعيش المؤمن متحرراً من أسر الندم على الماضي أو الحسرة على ما فات، إذ يدرك يقيناً أن ما وقع إنما جرى بمشيئة الله تعالى وتقديره، فلا يأسف على ما لم يُكتب له، ولا ينوح على ما ضاع منه، لأن ذلك لن يغيّر من القدر شيئاً، ولن يردّ ما انقضى من أمر الله. فالمؤمن الحقّ يعلم أن كلّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ومن ثمّ يرضى بقضاء الله إذا وقع، ويقابل البلاء بالصبر، والنعمة بالشكر، من غير تسخّط ولا اعتراض. ومع ذلك، فإن هذا الرضا لا يعني التواكل أو الاستسلام السلبي، بل يحمل المؤمن على الاعتبار والاستفادة من الماضي، فيتوب من خطئه، ويصحّح مساره، ويجتهد في ألا يُلدغ من الجحر مرتين، لأن الإيمان بالقدر يعلّمه أن الحكمة من وقوع الأحداث هي التزكية والتجربة والإصلاح، لا الندب والبكاء على ما لا يُردّ (النحلاوي، 1403هـ، ص 102).

5- الحياة الطيبة: إنَّ من أعظمِ ثمارِ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ ما يورِثُهُ في نفسِ المؤمنِ من الحياةِ الطيّبة التي وعدَ اللّهُ بها عبادَهُ الصالحين؛ كما قال تعالى :**{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}** [النحل: 97] .فقد أخبرَ اللّهُ تعالى ووعدَ من جمعَ بين الإيمانِ والعملِ الصالحِ بأن يمنحَهُ حياةً طيبةً في الدنيا، وجزاءً كريماً في الآخرةِ دارِ القرار (ابن كثير، 1420هـ،ج 4، ص 601). وهذه الحياةُ الطيبةُ لا تكمُنُ في وفرةِ المالِ أو سَعةِ الجاه، بل في طمأنينةِ القلبِ، وسكينةِ النفس، ورضا المؤمنِ بما قدَّرهُ اللّهُ له من خيرٍ أو ابتلاء.

وسببُ ذلك أنَّ المؤمنَ الحقَّ، الذي استقرَّ في قلبِه الإيمانُ باللهِ والإيمانُ بقضائهِ وقدرهِ، يؤسِّسُ حياتَهُ على قاعدةٍ راسخةٍ من التسليمِ واليقين، فيستقبِلُ النِّعَمَ بشكرٍ واعتدالٍ، ويواجِهُ المصائبَ بصبرٍ ورضا، فلا يُزعزعُ إيمانَهُ سرورٌ ولا كدرٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»** (مسلم، ب ت، ج 4، ص 2295). وهكذا يعيشُ في ظلّ عقيدتِه حياةً يملؤُها الأمانُ الروحيُّ والاتزانُ النفسيُّ، تُزكّي قلبَهُ وتُهذّبُ أخلاقَهُ وتُعينُهُ على أداءِ رسالتِه في عمارةِ الأرضِ وفقَ مرادِ اللهِ تعالى.

نتيجة البحث

من خلال هذه الدراسة عثر الباحثان على النتائج الآتية:

- بعد هذا العرض المفصّل يتبيّن أنّ الإيمان بالقضاء والقدر ليس مجرّد أصلٍ من أصول العقيدة الإسلامية، بل هو قوّةٌ بنّاءةٌ شاملة تؤثّر في جميع مناحي شخصية المسلم الفكرية والسلوكية والنفسية. فهو عقيدةٌ تُصاغ في القلب، وسلوكٌ يُترجم في الواقع، وتربيةٌ روحيةٌ تُهذّب النفس وتوجّهها نحو الخير والرضا والتسليم لحكمة الله تعالى.
- وقد تَكشّفَ من خلال البحث أنّ الإيمان الصحيح بالقضاء والقدر يُحدث آثاراً بالغة العمق في حياة الفرد والمجتمع؛ إذ يُرسِّخ المفاهيم العقديّة، فيُعمّق صلة العبد بربّه، ويملأ قلبه يقيناً وثقة بعدل الله وحكمته، ويولّد في نفسه إخلاصاً صادقاً وتوكّلاً واعياً، ورضاً يورث الطمأنينة والسكينة. كما يُزكّي النفس فيطهّرها من أمراض الكبر والحسد واليأس، ويغرس فيها فضائل الصبر، والشكر، والتواضع، والكرم، والقناعة، والتفاؤل.
- أمّا في الجانب النفسي، فإنّ الإيمان بالقضاء والقدر يُقيم توازناً داخليّاً عميقاً؛ فيحرّر الإنسان من القلق والاضطراب، ويمنحه سكون القلب، وراحة البال، وعزّة النفس، وقوّة الإرادة في مواجهة المصائب. فالمؤمن الحقّ يعيش حياةً طيّبةً متوازنة، لا تزعزعه النوازل ولا تغرّه النِّعَم، لأنه ينظر إلى كلّ ما يجري بأنه بتقدير الله تعالى وحكمته البالغة.
- وهكذا يظهر أنّ الإيمان بالقضاء والقدر يُمثِّل أُسّاً راسخاً لبناء الاتّجاهات الأخلاقيّة للمسلمين، إذ يجمع بين صفاء العقيدة، وسلامة النفس، ونقاء السلوك. فحياة المؤمن إنما تكتمل متى آمن بالقدر خيره وشرّه، ورضي بما قسم الله له، فاستقام قلبه وعَمَلُه، وسلك طريق الفضيلة والقناعة، فكان في رضا الله ومحبّته، ونال السعادة في الدارين.

المصادر و المراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (1409هـ). عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. دمشق: دار ابن كثير.
3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (1416 هـ). مدارج السالكين. المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي.
4. ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله، (ب ت). الزهد والرقائق. المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت: دار الكتب العلمية.
5. ابن حجر، احمد بن علي، (1379هـ)، فتح الباري. بيروت: دار المعرفة.
6. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء. (1399هـ). معجم مقاييس اللغة. المحقق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر.
7. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (1420هـ). تفسير القرآن العظيم. المحقق: سامي بن محمد سلامة. دمشق: دار طيبة.
8. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، (1414 هـ). لسان العرب. الطبعة: الثالثة، بيروت: دار صادر.
9. الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله، (1425 هـ). القضاء والقدر. الأردن: دار النفائس.
10. بخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، (1422هـ). صحيح البخاري. ج4، بيروت: دار طوق النجاة.
11. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (1403هـ). التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية.
12. زيدان، عبدالكريم، (ب ت). الإيمان بالقضاء والقدر وأثره في سلوك الإنسان.
13. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (1414 هـ). فتح القدير. ج 5، بيروت: دار الكلم الطيب.
14. عبد الرحمن المحمود، (1418هـ). القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه. الطبعة الثانية، الرياض: دارالوطن.
15. عبد الرحمن النحلاوي، (1403هـ). أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع. الطبعة الثانية، دمشق: دار الفكر.
16. عبد الله بن عبد الحكم بن أعين، (1404هـ). سيرة عمر بن عبد العزيز. المحقق: أحمد عبيد. الطبعة: السادسة، بيروت: عالم الكتب.
17. عبدالمجيد بن محمد الوعلان، (١٤٤٢هـ).عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر عند السلف وأثرها على المؤمن.
18. محمد بن إبراهيم الحمد، (1435هـ). الإيمان بالقضاء والقدر. ط4، الرياض: دار ابن خزيمة.
19. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، (ب ت). صحيح مسلم. ج1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.